الفصل الثالث

حيـــاة الســجـــن

obeikandl.com

obeikandl.com

حياة السجون والتعذيب

- **سجن جزيرة رُوبن :**

تبعد جزيرة روبن عدة أميال عن مدينة الكاب في رأس الرجاء الصالح ، وبها سجن قديم جداً وهو من أشهر سجون العالم وحشية وقسوة في معاملة نزلائه ، فعلى سبيل المثال كانت الحراسة مشددة في داخل وخارج أسوار السجن بقوات مجهزة وكلاب بوليسية شرسة ومدربة ، فضلاً عن غنى المنطقة المائية المحيطة بأسماك القرش الفتاكة ، كما أن الزنزانات ضيقة جداً وقذرة ودرجة رطوبتها عالية والملابس كلها من الكاكي ، وبالزنزانة بعض البطاطين القديمة ، وتبعد الحمامات الجماعية مسافة (200) ياردة عن الزنزانات ، وإمعاناً في إهانة المساجين والتأكد من عدم قيامهم بأي أعمال عنف ، فإنه يتوجب عليهم الذهاب إلى دورات المياه جرياً وهم حفاة وعراة كما ولدتهم أمهاتهم بمرافقة الكلاب البوليسية لكل واحد منهم ، ويصرف لكل سجين نصف ملعقة سكر إذا كان أسوداً وملعقة سكر كاملة إذا كان ملوناً في اليوم الواحد ، كما أن الأكل يتكون من طحين الذرة وبعض الخضروات وقليل من اللحم في بعض الأحيان ، وأن الخبز شبه معدوم في هذا السجن .

وقد حدثني شاهد عيان بأن هناك نظام (تخسيس الوزن) يطبق على المساجين ، حيث يتم إنقاص كمية المواد الغذائية التي تقدم لهم يوماً بعد يوم حتى النهاية وذلك لفترة أقلها أسبوع فما فوق ، وتمتد إلى شهر ، وبذلك يتمكن

السجين الذي يصبح عظماً على جلد من المرور من خلال حلقات ضيقة أعدت خصيصاً للهياكل العظيمة ، غير أنها لازالت تتنفس [1].

- **مانديلا وحياة السجن :**

بعد عدة أسابيع سمح لمانديلا ورفاقه بالخروج من الزنزانات إلى ساحة السجن والبدء في برنامج الأشغال الشاقة وهو تكسير الأحجار ، وقد أتيحت الفرصة للمساجين الذين وصل عددهم إلى 1000 سجين باللقاء والتحدث مع بعضهم البعض وتبادل الأسئلة والألغاز ، وكان مانديلا يسأل ويناقش عن الاشتراكية وأبطال التاريخ المعروفين أمثال (هانيبال القائد القرطاجي المشهور الذي دافع عن بلاده وعن شمال أفريقيا ، وأراد أن يرد عدوان روما بالهجوم عليها وغزوها في عقر دارها ، ورغم أنه لم يفلح إلا أن الحياة هي وقفة عز ومبدأ).

في هذا المعتقل الرهيب كان مانديلا يعامل الضباط والجنود معاملة حسنة باعتبارهم منفذين للأوامر فقط ، أما الاتصالات بالخارج فكانت محرمة ومقطوعة ، وتوالت الأيام روتينية على هذا المنوال ، ولذا فإن صبر مانديلا نفد وبدأ يحتج معبراً عن رأي رفاقه في رفضهم لذلك القهر والاضطهاد الذي يُمارس ضدهم في ذلك السجن السيئ الصيت ، والذي نفي إليه الإنجليز والهولنديون الكثيرون دون وجه حق .

---

(1) رواية لمواطن جنوب أفريقي سجين في السجون العنصرية ، وكان أشهرها سجن روبن ، وقد التقاه الباحث خلال سنة 1988 م في مدينة غابروني عاصمة جمهورية بوتسوانا .

وفي سنة 1959 م . قال وزير العدل ـ وأي عدل آنذاك ـ إن تحوطات أمنية كبيرة قد اتخذت بضرورة منع السفن من الاقتراب من شاطئ تلك الجزيرة بمسافة لا تقل عن ميل مهما كانت الأسباب .

وبعد العديد من الاحتجاجات والاضطرابات ومرور وقت ليس بالقصير سُمح لكل سجين أن يبعث برسالة واحدة إلى خارج السجن تتكون من 500 كلمة على أن تقرأ من قبل السلطات بالسجن وذلك مرة واحدة كل ستة أشهر .

وفي حين كان محظوراً على المساجين استقبال أطفال ما دون السادسة عشر، واستلام آلات تصوير وما شابه ذلك ، فإن الحديث بين الزوار والمسجونين يجب أن يتم باللغة الإنجليزية المعروفة لدى الحراس وبوضوح تام وبصوت مسموع ، ويحظر استعمال اللغات المحلية الأخرى في التحدث مع المساجين مهما كانت الظروف والأسباب.

وفي إحدى المرات بعد أن قطعت السيدة ويني مانديلا مسافة 1000كم وقامت بإجراءات طويلة وملء استمارات وطلبات ، سمح لها بالتحدث من خلال فجوة صغيرة لزوجها نيلسون مانديلا لمدة 45 دقيقة ، وذلك في مواضيع اجتماعية وعائلية فقط ، وكان هذا شأن بقية السجناء مع عائلاتهم .

لقد عملت السيدة ويني مانديلا في عدة مواقع للعمل ، منها عاملة نظافة في محل تصليح أحذية وبيع أثاث . . الخ ، كل ذلك من أجل توفير لقمة العيش لنفسها ولبناتها التي أصبحت مسؤولة عنهما ، وقد تعرضت أثناء ذلك لمضايقة البوليس العنصري ومطارداته ، حيث اتهمها بأنها تحاول مساعدة زوجها للخلاص من سجنه ، ثم تطور الأمر لدرجة أن حجزت في حبس

انفرادي لمدة 4 أيام ، وأطلق سراحها بعد تعهدات وحكم معلق لمدة 4 أشهر وقد كان ذلك في عام 1967 م .

لقد كبرت ابنتا مانديلا وأصبحت إحداهما تتساءل عن أبيها ولماذا هو غائب ، بينما ابنة الجيران تعيش مع والدها المقيم معها ومع والدتها .

إن والدها في حقيقة الأمر كان في تلك الفترة يقضي سجناً وأعمالاً شاقة مؤبدة ، لقد كان يحتج ويثور في وجه البوليس العنصري على تكسير الأحجار والمعاملة السيئة داخل أسوار السجن ، وكثيراً ما أضرب عن الطعام والذي كان غالباً ما يكون قليلاً من أرز مطبوخ لا يسمن ولا يغني من جوع ، وكان مانديلا قد كتب مع رفاقه عدة رسائل وتظلمات لتحسين أوضاعهم المعيشية بالسجن وتزويدهم بالبطاطين والأدوية اللازمة . . الخ ، غير أن طلباتهم لم تجد آذاناً صاغية وذهبت أدراج الرياح .

وبما أن تداول الصحف محرم بالسجن ، فإن مانديلا قد عوقب عندما ضبطت قصاصة ورق في زنزانته ورغم ذلك حاول الحصول على المطبوعات والكتب ومواصلة دراسته القانونية من زنزانته .

وكان السجناء ومعهم مانديلا يمرون بفترات تتضاعف فيها وحشية البوليس وقسوته ويتعرضون إلى التعذيب الشديد ، فإذا ما حدث أي عمل ثوري أو سياسي في الخارج ، يتعرض المساجين للقمع والتنكيل والعقاب على إثره داخل السجن ، فعلى سبيل المثال عند انطلاق حركة الكفاح المسلح في ناميبيا وتشكيل حركة سوابو سنة 1966 م ، والتي قبض على زعميها السيد (ANDIMBU JA TOIVO) اندمبوجا تويفو ، الذي أودع معهم السجن ، تم الضغط على المساجين ومنعهم من استقبال هذا المناضل أو حتى

التعاطف أو التضامن معه ، لقد حدث ذلك عندما أصبح فورستر (J.B.VORSTER) رئيساً للوزارة العنصرية خلفاً لـ (DR. VEWOERD) د. فروورد الذي اغتيل سنة 1966 م . كما كانت روديسيا العنصرية بقيادة إيان سميث آنذاك (استقلت الآن وأصبحت تسمى زيمبابوي) كانت تقبض على المناضلين وتسلمهم إلى حكومة جنوب أفريقيا لتضمهم إلى باقي إخوانهم في سجن الميز العنصري هنا ، لقد كانت تلك الأيام حبلى بكثير من الأحداث العظام ، ففي جنوب القارة أيضاً تشكلت حركة زابو (ZAPU) بقيادة جوشوا أنكوموا لتحرير الشعب الزيمبابوي من هيمنة الأقلية العنصرية فيما يعرف بروديسيا آنذاك ، وهذا ما كان في عام 1980 م .

وفي عام 1969 م أصبح أوليفر تامبو رئيساً لحركة المؤتمر الوطني الإفريقي ، وفي 12 / مايو / 1969 م ، صدر قانون مقاومة الإرهاب والذي بموجبه دق البوليس العنصري على باب غرفة السيدة ويني مانديلا وهي نائمة واعتقلها وترك طفلتيها لوحدهما في البيت في وقت متأخر من الليل ، وأودعت السجن مع (21) شخصاً آخرين ، توفى أحدهم قبل حلول الصباح، ولحق به آخر بعد تسعة عشر يوماً .

لقد قضوا جميعاً بما فيهم السيدة مانديلا خمسة أشهر في الحبس الانفرادي ، وقد وصفت السيدة ويني حالتها المأساوية تلك بقولها :

" إنني لا أستطيع أن أفرق بين الليل والنهار إلا بفنجان قهوة الصباح " وتحدثت عن معاناتها وشعورها بالعزلة والاكتئاب نظراً للآلام التي تشعر بها وللإرهاب النفسي الذي تتعرض له ، فقد كان يرمى لها بالإنجيل ويطلب منها أن تصلي عسى ربها أن يخرجها مما هي فيه ، لقد كان بُعدها عن بناتها يقطع

نياط قلبها ، ولكن ما عسى امرأة أن تعمل في وجه قوة عاتية ظالمة ، وبعد أسبوعين من القبض عليها بدأ التحقيق معها لمدة (5) أيام متتالية لم تنم فيها على الإطلاق ، وذكرت السيدة ويني أنها كانت تسمع أنين وصراخ المساجين الذين يعاملون بوحشية ويعذبون ، بعد أن يعلقوا من أيديهم ويضربون ضرباً مبرحاً ، وكان من بينهم أحد قادة المسلمين في مدينة كيب تاون ، ومن أبرز المناهضين لسياسة الميز العنصري وهو الشيخ الإمام هارون .

لقد كانت التهمة الموجهة إلى السيدة ويني مانديلا هي دعم الـ (ANC) واستغلال المآتم في التظاهر والعصيان ضد نظام الميز العنصري، كما أتهمت بتلقي التعليمات من زوجها مانديلا من سجن جزيرة روبن المقيت.

وفي 17 / 2 / 1970 م ، أطلق سراح هؤلاء السجناء لبراءتهم بينما أعيد حوالي 20 منهم على عجل إلى السجن مرة ثانية ، أي حتى قبل أن يصلوا إلى بيوتهم ، وكانت السيدة مانديلا من بين هؤلاء .

وفي هذه الأثناء استدعى نيلسون مانديلا إلى مكتب ضابط السجن الذي أبلغه بوفاة ابنه تيمبي (THEMBI) ، ولم يكن هناك من أحد بجانبه كي يعزيه سوى صديقه سيزولو الذي حضر إلى زنزانته وجلس معه لفترة من الوقت مواسياً ومصبراً له على فقدان فلذة كبده . إن انقطاع أخبار زوجته عنه مدة، وعدم معرفته بحالها ومصير أسرته زاد من همومه ومعاناته في السجن.

- **السجين رقم 64 / 466 في الفترة من 1971 إلى 1978 م :**

لقد كان الإيمان بالمبادئ التي آمن بها مانديلا ودفاعه المستميت عنها، والتمسك بها هو حجر الزاوية في استمرار جذوة النضال والكفاح في داخل

جنوب أفريقيا ، فقد شدد عزمه وصلب إيمانه ذلك السجن الفظيع ، كما أن التقاطه لأخبار انتصارات الحركتان التحرريتان في جنوب أفريقيا كحركة الـ (FRELIMO) في موزمبيق و (MPALA) في أنغولا عزز من إيمانه بحتمية النصر مهما طال الزمن ، ورغم كونه مريضاً بضغط الدم وآلام الظهر وغيرها، إلا نه واصل الكتابة والدراسة ،وحتى حينما عرض عليه الاعتراف باستقلال موطنه الأصلي مقاطعة الترانسكاي مقابل تخفيف الحكم عليه رفض بحزم قائلاً : " لا للتقسيم ولا للمساومة على المبادئ " ، لقد طالب زواره من عائلته وخاصة زوجته وأمه قبل وفاتها وأخته وبعض أصدقائه من الأمم المتحدة أن تراف به نظراً لظروفه الصحية والتوسط لدى النظام العنصري لإطلاق سراحه ، ولكن لم تجد طلباتهم تلك آذاناً صاغية ، وذهبت صيحاتهم آنذاك أدراج الرياح .

وفي 25 / 7 / 75 م ، تحقق استقلال موزمبيق من الاستعمار البرتغالي البغيض بقيادة المناضل سامورا ميشيل الذي قاد حرب العصابات من على حدود بلاده الغربية والشمالية حتى تحقق له النصر، وباعتباره ثائراً اشتراكياً تقدمياً فقد حوصر اقتصادياً وسياسياً ، ودعُمت الحركات المناهضة له واتخذت جنوب أفريقيا والإمبريالية العالمية مواقف عدائية ضده ، حتى أجبرته على توقيع معاهدة (نكوماتي) في 16 / 3 / 1984 م مع جنوب أفريقيا لحسن الجوار والتعاون ، ورغم ذلك فلم تأمن جنوب أفريقيا جانبه ، وقد لقى حتفه إثر تحطم طائرته فوق أراضي جنوب أفريقيا بعد عودته من زامبيا وحضوره اجتماع رئاسي هناك خلال شهر أكتوبر 1987 م ، وتولى بعده الرئيس سيشانو وهو أكثر اعتدالاً من الرئيس السابق . وقد بدأ في تقوية علاقاته مع الغرب وجنوب أفريقيا بعدة اتفاقيات لحل مشاكله المختلفة معهما .

كما أن ما كانت تسمى بروديسيا الجنوبية قد تحررت وأصبحت تسمى زيمبابوي وعاصمتها هراري بدلاً من سالزبوري ، وقد جاء ذلك بعد أن دعمت قوى التحرر في أفريقيا القيادات الثورية في زيمبابوي ومنها كل من : جوشوا أنكومو زعيم حزب زابو سابقاً ، وروبرت موغابي الرئيس الحالي ورئيس حزب زانو مادياً ومعنوياً ، الأمر الذي جعل بريطانيا ترضخ للأمر الواقع وتوقع اتفاقية (لانكستر) في عام 1980 م ، وتتبوأ زيمبابوي مركزاً مرموقاً خاصة بعد احتضانها لمقر منظمة دول عدم الانحياز .

إن تزايد الغضب والنقمة على الميز العنصري قد تطور بشكل ملحوظ في السنوات الماضية ، وتؤكد إحدى الرسائل الممهورة بتوقيع نيلسون مانديلا والتي هُربت من السجن على أن استخدام السلاح وحمل البنادق ووحدة النضال هو الكفيل بالقضاء على الميز العنصري .

كما أن نداءات وبيانات القس توتو وبالذات عام 1976 م ، والتي توضح أن الغضب الذي كان يأتي من الرؤوس أصبح الآن ينطلق من البطون والأمعاء الأفريقية ، هذا فضلاً عن مناهضة الميز العنصري بالكتابة وبالشعر والتأليف ، ومن أشهر الكتّاب السيدة زندزي (ZINDZI) ابنة مانديلا ، كما يتضمن ذلك الغضب والرفض إحياء ذكرى المعتقلات والمجازر البشرية ، لقد تزايد الأمر حدة إذ تقول الإحصائيات أن متوسط ما يتمتع به الأبيض في مجالات التعليم والإسكان ما يعادل 621 (رندا) (الرند نصف دولار تقريباً) في حين كان نصيب الإفريقي الأسود 72 رنداً فقط ، ورغم وجود 400 ألف عامل يشتغلون بالمناجم وهي أقصى أنواع الأعمال الشاقة في قاع الأرض بجنوب أفريقيا ، إلا ان 2 مليون عامل آخر أسود بدون عمل البتة .

إن ازدياد النقمة على الميز العنصري واستقلال زيمبابوي وموزمبيق وضغط الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وخاصة قراره في 3 / 6 / 1980 م بإطلاق سراح مانديلا جعلت الكثيرين يُذكّرون بدرس روديسيا ويعتقدون أن إطلاق سراح نيلسون مانديلا سيكون نقطة بداية في تغيير شامل وكبير في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جنوب أفريقيا .

وبعد سنوات عديدة من الحظر على ويني مانديلا من مغادرة جوهانسبرغ تمكنت من زيارة صديقتها فاطمة مير (وهي مسلمة في مدينة درين ومؤيدة لها ومن المناهضين لسياسة التمييز) . ولاشك أنها بثتها حزنها وآلامها ووحدتها ، خاصة وأنها مدرسّة في جامعة ناتال وتشارك في نشاطات نسائية عديدة في جنوب أفريقيا.

في 16 / 6 / 76 م ازدادت حدة الغضب لدى السود ضد قوانين التعليم العنصري الأبيض بلغة الأفريكانز الاستعمارية وتظاهر الأفارقة في الشوارع ورجموا جنديين بالحجارة حتى الموت انتقاماً لمقتل شاب وفتاة ، وكانت أحاديث نيلسون مانديلا وخطبه والحكم عليه بالسجن المؤبد تلهم الجماهير وتحفزها على الثورة الشعبية وعلى الاعتصامات والإضرابات ، وتقول الإحصائيات أن قطعان الهمج العنصريون قد قتلوا في ستة عشر شهراً أكثر من 600 أفريقي ، وجرحوا حوالي (4000) آلاف آخرين ، فضلاً عن إيداع الآلاف في السجون ، في حين هرب المئات عبر الحدود الشمالية إلى ما يعرف بدول المواجهة مثل زيمبابوي وبوتسوانا وموزمبيق .

لقد طال السفر في رحلة العذاب وتقطيع وصل الرفاق الـذين فرقـت بينهم النوائب والأيام ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وهكذا علـى رأي الشاعر العربي الذي قال :

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد.

فهذا المناضل روبـرت سـوبوكي (ROBERT SOBUKWE) يمـوت بـداء الـسرطان ، فـي حـين قـضى الـشاب سـتيف بيكـو (STEVE BIECO) لحبه من جراء التعذيب ، حيث رمى عارياً ومغمـىً عليه في الصندوق الخلفي للسيارة الطاوية (اللاندروفر) لمسافة 700 كـم ، وذلك في 12 / 9 / 1977م .

كما مات يوسف دادو (Y. DADOO) وهو من أبرز من قيـادات الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا ، الذي يرجع لأصول آسيوية ، فقد كـان يقود المظاهرات ويخطب فيها مناهضاً للعنصرية والعنصريين .

كما قتل أحمد تيمول (AHMED TIMOL) الذي قُذف من الدور العاشر لمركز البوليس العنصري ، كما توفي مابيتلا محابي ، كما دبر حادث اغتيال السيد إبراهيم تيرو (IBRAHIM TIRO) قائد حركة الشباب فـي جنوب أفريقيا وذلك بتفجير سيارته بقنبلة موقوتة في بوتسوانا .

وبالرجوع إلى الخطابات التي كان يبعث بها مانديلا وزوجتـه مـن السجن لأصدقائهما يمكن معرفة بعض من أوضاع الأفارقة السود داخل تلـك الأسوار ، فهم يعيشون في وضع مزرٍ يفوق الوصف .

وفي 13 / 5 / 80 م ، سمح العنصريون بدخول صحيفتين يـوميتين للسجناء ، إحداهما إنجليزية والأخرى بلغة الأفريكانز .

وخلال سنوات سجن مانديلا ، التي امتدت لأكثر من ربـع قـرن ، أصبح النداء لتحريره من السجن رمزاً لرفض سياسة التمييز العنصري ، ففي 10 يونيو 1980 م تم نشر رسالة استطاع مانديلا إرسـالها إلـى المـؤتمر الوطني الإفريقي ، قال فيها : " اتحدّوا وجهّزوا وحاربو ، إذ ما بين سـندان التحرك الشعبي ومطرقة المقاومة المسلحة سنسحق الفصل العنصري " .

- **ظروف مانديلا في السجون العنصرية خلال الفترة من 1982 / إلى 1985 م :**

في شهر 4 أبريل 1982 م ، تم نقل كل من مانديلا وأحمد كـاتراوا (المسلم) ومهلابا وملاخيني إلى سجن ذو حراسة أكثر تشدداً ، وهو سـجن بولس مور (POLLS MOOR) الذي يبعد حوالي الساعة بالـسيارة مـن مدينة الكاب ، وفي هذا السجن تحسن الوضع قليلاً عن ذي قبل ، فقد زاد عدد الصحف التي يمكن الحصول عليها فضلاً عن إمكانية استعمال جهاز راديـو (VHF) لاستقبال المحطة الإذاعية المحلية فقط ، وفي عام 1983 م اشتكى مانديلا لزوجته في إحدى رسائله إليها من الأوضاع الصحية السيئة وظروف رفاقه المأساوية ، وقد نشرت بعض الصحف تلك الشكوى وخاطبت زوجتـه أصدقاءها في لندن بما يعانيه زوجها في ذلك السجن .

وفي هذه الأثناء اتخذت جنوب أفريقيا سياسة هجومية جديـدة تجـاه الدول المجاورة لها أو ما يسمى بدول المواجهة مـا بعـد سـنة 1984 م ، واستعملت تجاهها سياسة الترهيب والترغيب ، فقد شنت هجومات عـسكرية

على مواقع زعمت أنها قواعد لأعضاء حركة الـ (ANC) فتعرضت موزمبيق لتلك الاعتداءات وكذلك بتسوانا وزيمبابوي وحتى زامبيا التي تعتبر بعيدة إلى حد ما .

كما زعزعت جنوب أفريقيا العنصرية أنظمة هذه الدول بالتحالف مع مناوئيها ، وذلك مثل الدعم التي تحصلت عليه حركة (RENAMO) رينامو المعارضة في موزمبيق ، فضلاً عن الضغط على هذه الدول لتوقيع اتفاقيات ثنائية معها مثل اتفاقية نكوماتي التي وقعت مع الرئيس الموزمبيقي الراحل سامورا ميشيل في (1984 م) ، وربما تكون هناك أسباب سياسة واقتصادية دفعت موزمبيق لتوقيع تلك الاتفاقيات آنذاك .

كما تميزت السنوات الخمس الأخيرة بظهور عدة حركات وتنظيمات سياسية ودينية مناهضة للميز العنصري ، ومن أشهرها تجمع (UDF) الجبهة الديمقراطية المتحدة ، التي تنضوي تحتها عدة حركات وتنظيمات سياسية وشبابية وطلابية للمطالبة بالمساواة بين الأجناس ، وبرز زعماء دينيون مثل القس دزموند توتو داعية الإصلاح الديني العالمي ، والحاصل على جائزة نوبل للسلام ، وكذلك السيد آلان بوساك ALLAN BOESAK) (القس الإفريقي ورئيس مجلس الكنائس العالمي ، وهو مؤلف إصلاحي شهير ، كذلك كان هناك أعضاء مسلمون في حركة (UDF) مثل د . سلوجي الذي ما أن يخرج من السجن حتى يعاد إليه نظراً لإلهابه مشاعر الجماهير بخطاباته الحماسية المؤثرة والمناهضة للعنصرية .

في 12 / 5 / 1984 م سمح لمانديلا مصافحة زائريه في السجن ومقابلتهم مباشرة لأول مرة ، فقد عانق زوجته وابنتيه التي كانت إحداهما في

الثاني والعشرين من عمرها ، وذلك في الطابق الثالث من سجن بولس مور بحضور رفيقه سيسولو .

وفي هذا الوقت إزداد الضغط العالمي والصيحات المنادية بإطلاق سراح مانديلا وإيجاد إصلاحات جذرية لإلغاء نظام الميز العنصري وتطبيق مقاطعة اقتصادية وسياسية لنظام (الأبارتهيت) ، كما أن العمل الثوري الذي قامت به عدة حركات من السود الأفارقة في جنوب أفريقيا ومن أهمها بعد الـ (ANC) حركة الـ (PAC) المؤتمر الوطني الجامع ، وحركة الوعي الأسود (BCMA) ، عجّل من نهاية نظام الميز العنصري في جنوب أفريقيا.

وفي عام 1984 م سمح لعضو برلماني يدعى مستر بيثيل (MR. BETHELL) بزيارة مانديلا لأول مرة ، وقد أوضح له مانديلا المعاملة القاسية والعزل اللذين يتعرض لهما رفاقه في السجن ، والوضع المزري للزنزانات ، وقال : نريد أن نعيش مع عائلاتنا الأفريقية وليس العائلة هي فقط الزوجة والأولاد كما هو في المفهوم الأوروبي، كما نفى إشاعة كونه مريضاً بالسرطان ، ومن الجدير بالذكر أن مانديلا كان يعالج من أمراض السل ، فيما عانى صديقه سيسولو في السنوات الأخيرة من أمراض في العيون، الأمر الذي يمكن أن يصيبه بالعمى النهائي ، وأضاف وسط نظرات الحراس المسلطة عليه ، إن النظام العنصري هو الذي فرض علينا الكفاح المسلح وحمل السلاح ، وسوف لن نلقيه حتى نجد أذاناً صاغية للتفاوض والاعتراف بحقوقنا كاملة ، إننا ضد قتل الناس ، ولكن سنستمر في مهاجمة المواقع الحيوية لنظام الميز العنصري .

ثـم التقـى مانـديلا ببرفـسور أمريكـي يـدعى صـمويل داش (SAMUEL DASH) الذي قال : شعرت بأنني في حضرة رئيس دولـة وليس زعيم عصابات ، وقال: لقد أخبرنا بأنه لا يرغب في طرد البيض مـن بلاده ، ولكن عليهم بالمشاركة معنا في الحكم ، وقال : أن المسألة ليـست أن يتزوج السود من النساء البيض ، ولكنها قضية حرية شعب ، وعدالة ، وحق ، ومساواة .

كما زاره العديد من الصحفيين والمسؤولين في العالم ، وقال بعـضهم إنه ثوري ، وقال آخرون إنه إرهابي وليس له بديل عن العنف إلا بإلغاء الميز العنصري ، وتحقيق أماني وطموحات السكان الأصليين في تقرير مـصيرهم وحكم أنفسهم بأنفسهم والاعتراف بآدميتهم وحقهم في صوت لكل إنسان .

في 30 / 1 / 1985 م ، خطب بوتا رئيس جنوب أفريقيا وأعلـن أن مانديلا يمكن أن يطلق سراحه شريطة إدانة العنف وعدم استخدامه مرة ثانية ، وحينما أخطرته زوجته في 5 / 2 من العام نفسه بفحوى الخطـاب رفـضه رفضاً باتاً وكتب رداً قرئ بالنيابة عنه من قبل ابنته زندزي في اجتماع حاشد للسود في حي سويتو. وأكد فيه أنه عضو في حركة الـ (ANC) وسيظل ، ونفى كونه إرهابياً ، وأشـار إلى طلبـه هـو وزملائـه المقـدم إلى مـلان (MALAN) عام 1952 م للتفاوض حول طاولة مستديرة ، غير أن الطلب لم يُعر أي اهتمام من قبل سلطات الميز العنصري .

وتحدى مانديلا بوتا بقوله : دعه يُنهي (الابارتهايت) ويضمن حرية سياسية لجماهير السود في جنـوب أفريقيـا ، ويطلـق سـراح المعتقلـين والمساجين.

وقال : ما هي الحرية التي تعرض عليّ وأنا وشعبي لازلنا نحتاج إلى ختم وجواز عبور داخل بلادنا ، ولا زلنا نعاني من سياسة التفرقة حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ، ما هي الحرية وأبناء شعبي لا يُحترمون ؟ إن حريتكم وحريتي واحدة لا تتجزأ ، وكان مانديلا يتحدث باسم رفاقه بالسجن جميعاً دون استثناء .

لقد تعرضت أسرة المناضل نيلسون مانديلا أثناء فترة سجنه الطويلة هذه لمعاناة شديدة وعوز ومضايقات واتهامات وسجن وتحقيقات مستمرة ، كما تعرض بعض أفراد أسرته إلى سحب جوازات سفرهم ومنعهم من السفر وبالذات زوجته التي شنت عليها حملات كاذبة بقصد تشويه سيرتها ، وبالتالي تلطيخ سمعة وتاريخ زوجها والتقليل من دوره وتحجيم تضحياته الجمة لما يقرب من ثلاثة عقود من الزمان .

إن تحكم المستعمرين البيض في الاقتصاد بجنوب أفريقيا بشكل عام وربط هذه الشبكة الاقتصادية بمصالح الغرب وأهدافه وسياساته حال دون تطبيق المطالبة العالمية بتطبيق مقاطعة اقتصادية وسياسية شاملة على نظام الميز العنصري ، وتكفينا سياسة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا على ذلك ، فهي المؤيد القوي والمساند لجنوب أفريقيا العنصرية ، وقد وقفت أمام كل محاولات الضغط على هذا النظام ، وما موقفها في مؤتمرات دول الكومنولث عنا ببعيد .

وكرد على الحجج الواهية بأن الحصار الاقتصادي على جنوب أفريقيا سيؤثر بالتالي على دول المواجهة ودول ووسط وجنوب القارة ، فإنه يمكن القول بأن تلك الدول لازالت تعاني من التخلف والفقر والبطالة والديون

وانخفاض مستوى المعيشة فيها إلى درجة متدنيـــة رغـــم علاقاتهـــا الحاليـــة اقتصادياً وسياسياً مع جنوب أفريقيا ، ولذلك فليس لها ما تخسره سوى النـــزر اليسير . إن اعتداءات جنوب أفريقيا وغاراتها على الدول المجاورة وآثارهـــا المؤلمة واضحة للعيان ، فلم يعد للأفارقة ما يخسرونه سوى أغلالهم .

وتذكر بعض الإحصائيات بأن أكثر من 75 % من ســـكان جنـــوب أفريقيا السود يؤيدون تطبيق المقاطعة الاقتصادية على هذا النظام العنـــصري الذي يطبق سياسة المراوغة ، فهو في حين يحاول أن يربط جسور العلاقات مع دول مثل زائير وساحل العاج وملاوي وغيرها من الدول الأفريقية ، فإنه في نفس الوقت كان يقف بكل قوة للحيلولة دون أن يحقق شعب ناميبيا سيادته وحريته فوق أرضه بقيادة حركته التحريرية (سوابو) .

إن مانديلا الذي جاوز السبعين من عمره قبل الإفراج عنه يمثل الكفاح الثوري في جنوب أفريقيا ، ولازالت خطبه وأحاديثه تشنف آذان الملايين من المحبين للحرية والانعتاق الذين اكتوو بنيران العنصرية البغيضة .

إن ضغط الرأي العام العالمي في السنوات الأخيرة إذا ما أضيف إلى العمل المباشر الثوري داخل دولة النظام العنصري أرغم حكومـــة بريتوريـــا على أن تقوم بتخفيف سجن مانديلا إلى حبس في بيت داخل أســـوار الـــسجن على أن يتمكن من مقابلة أفراد أسرته في بعض الأحيان .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقـــام ، فإنـــه قـــد جـــرت مفاوضـــات واتصالات ولقاءات كثيرة في جنوب أفريقيا وخارجها لإطلاق سراحه ، غير أن مانديلا رفض الخروج من السجن إلا بعد أن تتحقق مطالب شعبه في إلغاء نظام الميز العنصري البغيض في بلاده .

إن تكريم الشعب الليبي وشعوب العالم المناضل الإفريقي بمنحه الجوائز التقديرية وشهادات التكريم ، لهو أكبر دليل على الاعتراف بالدور البطولي الذي قام به ذلك الزعيم الذي نذر حياته كلها من أجل قضية إنسانية خالدة وهي إلغاء نظام الميز العنصري في بلاده جنوب أفريقيا .

لاشك أن المستقبل للشعوب وقواها الحية ، وسيخرج مانديلا منتصراً لشعبه وللحقوق الإنسانية (وقد خرج فعلاً من السجن) مردداً مع شعبه النشيد الرائع " مانديلا ما زال معنا " .

ففي 11 فبراير 1990م ، أثمرت جهود ومثابرة المؤتمر الوطني الأفريقي (ANC) وكفاحه المسلح ، والضغوطات الدولية ، بالإضافة إلى الصبر اللامحدود والعزيمة القوية والإيمان الراسخ بحتمية النصر الذي آمن به مانديلا والتزم بتنفيذه ، وقد أثمر ذلك كله إلى إطلاق سراح مانديلا بأمر من رئيس الجمهورية في جنوب أفريقيا آنذاك فردريك ويليامز دي كليرك ، الذي أعلن إيقاف الحظر الذي كان مفروضاً على المؤتمر الوطني، وقد حصل مانديلا مع الرئيس دي كليرك في عام 1993 على جائزة نوبل للسلام المعروفة دولياً .